IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

القيم الكنائية فى قصيدة الهمزية للإمام البوصيري

DR. MAHMUD SULEIMAN IMAM
mahmoud.suleiman@umyu.edu.ng
DEPARTMENTOF ARABIC
FACULTY OF HUMANITIES
UMARU MUSA YAR'ADU UNIVERSITY, KATSINA
KATSINA STATE

المستخلص:

حاولت المقالة تتبع أساليب الكناية للإمام البوصيري، من خلال نماذجها الواردة في قصيدته الهمزية، والهدف من المقالة هو الوقوف على قيم الكناية البلاغية وخصائصها الفنية في القصيدة، فاستعان بالمنهج الوصفي للوصول إلى هذه الغاية، حيث قام باستخراج الصور الكنائية ثم تصنيفها، وتحليلها تحليلا بلاغيا، واستنتج الباحث في آخر المطاف: أن الكناية قامت بدور في تجسيم ما في نفس البوصيري من المعاني الصوفية؛ وهي تلك المعاني المجردة التي قد لا تدرك إلا عن طريق هذا التعبير الكنائي اللطيف.

مقدمة:

لاشك أن للكناية مزية على التصريح، وهذه المزية ليست قائمة بذاتها فى الألفاظ المستعملة في الكناية أو المعاني التي تعبر عنها، وإنما هي في إثبات تلك المعاني في الوجوه اللائقة بالمقام. فمعنى طول القامة وكثرة القرى مثلًا لا يتغير بالكناية عنهما بطول النجاد وكثر رماد القدر، وإنما يتغير بإثبات شاهده ودليله وما هو علم على وجوده، وذلك لا محالة يكون أثبت من إثبات المعنى بنفسه. وهذا الإثبات يأتى من طرق مختلفة منها أنها تضع لك المعانى فى صورة المحسوسات أو تعطيك الحقيقة مصحوبة بالدليل أو أنها تمكنك من التعبير عن القبيح بما يستحسن سماعه. والهدف من هذا البحث هو الوقوف على الأسرار البلاغية والقيم الفنية التي وراء هذه الكنايات، الواردة في الهمزية للإمام البوصري، التي كتب عنها كثيرون، أمثال مختار أبوبكر سليمان الذي كتب بحث بعنوان "البوصيري وقصيدته الهمزية من البيت الأول إلى المئة الأولى، عرض وتحليل" وقدمه: إلى قسم اللغة العربية بجامعة بايرو كنو، سنة 1996م للحصول على درجة الليسان، و يوسف الحاج إبراهيم قدم بحث بعنوان: "ظاهرة البديع فى قصيدة الهمزية لمحمد بن سعيد البوصيرى" سنة 2005م إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو لنيل شهادة الليسان فى اللغة العربية، وغيرهما. إلا أن كل البجوث

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

التي وقف عليها الباحث لم تتطرق إلى فن الكناية لدى الإمام البوصيري، ولا إلى ما في تلك الكنايات من الأسرار البلاغية والقيم الفنية، فبناء على هذا يرى الباحث ضرورة القيام بهذا البحث ليكون صدا لهذه الثغرة. واستعان الباحث بمعطيات المنهج الوصفي في إجراءات هذا البحث، فقام برصد الكنايات وتصنيفها ثم تحليلها للوصول إلى ما فيها من أسرار والقيم الفنية.

وقد بدأ الباحث دراسته بتمهيد موجز عن البوصيري وهمزيته في المحور الأول، وتبع ذلك بلمحة عن الكناية: أقسامها وبلاغتها في المحور الثاني، ثم قام بدراسة تطبيقية عن دور الكناية في تجسيم المعنى وتفخيمها في المحور الثالث، و في المحور الرابع كذلك دراسة تطبيقية عن سر الكناية في ذكر القضية مصحوبة بالدليل، وذلك على النحو التالي:

المحور الأول:موجز عن البوصيري وهمزيته.

أ- نيسبه:

هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن سرور بن حيات بن عبد الله بن مبارك الصنهاجي.

وقيل: محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن حيان الحبنوني الصنهاجي أبو عبد لله شرف الدين الدلاّصي المولد، المغربي الأصل، البوصيري المنشأ.[1]

ولم تتفق كلمة المؤرخين على نسبه، غير أنهم أجمعوا على أن اسمه محمد واسم أبيه سعيد، ثم اختلفوا بعد ذلك في بقية نسبه.[2]

وأصله من فبيلة صنهاجة إحدى قبائل البربر التي عاشت في الصحراء جنوب المغرب الأقصى، وقد أشار البوصيري إلى هذا الأصل معتزا به في قوله:

قل لنا من ذا الأديب الذي # زاد به حبي ووسواسي
إذ كان مثلي مغربيا فما # في صحبة الأجناس من بأس
وإن يكذب نسبي جئته # بجبتي الصوف ودفاسي[3]

1. كان أبوه من قرية بوصير،[4] وأمه من دلاّص،[5]

ب- مولده ونشأته:

اختلف المؤرخون في تعيين مسقط رأسه كما اختلفوا في تحديد سنة ولادته، فقيل إنه ولد بناحية دلاّص، وقيل ببهشيم من أعمال بهنسا، في يوم الثلاثاء أول شوال، واختلفوا في سنة ولادته، فقيل: إنه ولد سنة 607 أو 608 أو

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

610 للهجرة. والراجح أنه ولد سنة 208.[6]

ولم تذكر المصادر المتوفرة شيئًا عن نشأته سوى ما ذكرت عن نشأته في مدينة أبوصير في أسرة تعاني بؤس الفقر. وقد عاش في عصر المماليك، عصر الاضطهاد والاضطرابات السياسية، الذى تعاني فيه الرعية شدة وطأة الفقر أو ما يكاد يكون حرمانا تاما، في قيود الظلم وأغلاله. فعاش البوصيري كغيره من أصحاب الطبقة الدنيا، في بؤس وضغط، مما جره اضطرارًا إلى مزاولة حرفة خسيسة يسدّ بها رمقه، وهى كتابة الألواح التي توضع شواهد على القبور.[7]

ولما كبرت سنه وتزوج بامرأه وَلُودَة، دعته الحاجة إلى مغادرة بوصير سعيا وراء الرزق لمعيشة أولاده، فسافر إلى القاهرة، واتصل بمن فيها من الأمراء والوزراء ومدحهم بقصائده، واستطاع أن يكسب مودتهم وعطفهم[8]فعرض عليه أن يكون محاسب القاهرة، ولكنه رفض هذه الوظيفة، واعتذر لذلك في قصيدة طويلة، مطلعها:

لا تظلموني وتظلموا الحسبة # فليس بيني وبينها نسبه

غيري في البيع والشراء درب # وليس في الحالتين لي دربة[9]

ج- أعماله:

تولى البوصيري كتابة الدواوين في المحافظة الشرقية ببلبيس، إلا أنه لم يعجبه تصرف موظفي الدواوين، فهجاهم بقصيدة صور فيها سوء أحوالهم وخيانتهم، ثم ترك الوظيفة وعاد إلى القاهرة ليفتح بها كُتَّابا لتحفيظ القرآن، مع قلة ما يرده منها من أسباب المعيشة،[10] وقد أشار إلى ذلك بقوله:

قد صار كتابي وبيتي من بني # غيرى وأبنائي كبرج حمام[11]

غير أن الظروف لم تسمح له بالبقاء في القاهرة والاستمرار بالتدريس في الكتّاب، فاضطّر إلى الخروج مرة ثانية، طلبا لمعيشة أولاده، فاتجه نحو المحلة واتصل بناظرها ومدحه، وقيل إن هذا الناظر قرر له إعانة شهرية إلا أنه لسوء علاقته بهؤلاء الكتّاب أوقفوا هذه الإعانة شهورا، فهجاهم هجاء لاذعا وصف فيه ما لاقاه من الجوع لأجل تأخر هذا المرتب لعدة شهور[12]، فقال:

وقد قيل كتاب النصارى مَناسِر # فما مثل كتاب المحلة مَنسِر

فبّرد فؤادى بانتقامك منهم # فقد كاد قلبي منهم ينفطر

منعت بهم حظي شهورًا ولم أصِل # إلى حظهم حتى مضت لي أشهر

وحسبك أنى منهم متضور # وكل امرئ منهم كذا يتضور[13]

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

ثم رجع البوصيري إلى القاهرة وأعاد فتح الكتّاب، وقيل إنه زار الإسكندرية إلا أنه لم يُذكر له فيها شيء من الأعمال.

د. وفاته:

هذا، وكل من طالع حياة البوصيري يدرك أنه كابد الشدائد، ولاقى الفقر والمسغبة، وكل ذلك سيوط تصبها عليه ظروف العصر القاسية إلا أنه لم يجره ذلك إلى الفحش والدعارة، كما حدث لغيره من أبناء ذلك العصر – بل تمسك بدينه والتجأ إلى حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى أن وافته منيته سنة 696هـ. وقيل بأنه دفن بالقاهرة بالقرب من الإمام الشافعي.[14]

"رحم الله الوصيري وتغمّده برضوانه جزاء ما أثرى به الأدب العربى من قريض وما أغنى به الوجدان الديني في مصر والعالم الإسلامي من مدائح أذكت روح الدين وأجّجت الإحساس به في القلوب والضمائر" .[15]

عرض موجز لقصيدة الهمزية.

تعتبر الهمزية من أشهر قصائد الإمام البوصيري في المديح النبوي، وقد نظمها بعد عودته من أداء فريضة الحج، في ستة وثلاثين وستمائة بيت في بحر الخفيف، حسب الطريقة التقليدية في قرض الشعر العربي وقتئذ، وسماها بـ "أم القرى في مدح خير الورى". وذلك لِمَا غمره من شدة الحب الرسول صلى الله عليه وسلم، الذى ملك عليه كل عواطفه ومشاعره، وقد جاءت القصيدة في وقت كان المجتمع المسلم في مصر في أمس حاجة إلى أمثالها، لدورها في التهاب حماسة الشباب في عراك الصليبيين.[16]

وقد نالت القصيدة إعجاب الشعراء والأدباء والباحثين، وعلى مقدمتهم شارحها الشيخ سليمان بن عمر بن منصور المعروف بالجمل (ت:1249هـ/1789م). عبّر عن الهمزية بقوله: "قصيدته الهمزية المشهورة العذبة الألفاظ، الجزلة المعانى النجيبة الأوضاع، العديمة النظير، البديعة التحرير، إذ لم ينسج على منوالها، ولا وصل إلى حسنها وكمالها أحد.[17] مع أن هذا القول فيه شئ من المبالغة إلا أنه يشير إلى مدى إعجاب صاحبه بهذه القصيدة.

ولها شروح ومعارضات وتشطيرات كثيرة، مما يشير إلى قيمتها وعلو شأنها لدى الأدباء. ذكرت منتديات الرياحين في شبكتها أكثر من عشرين شرحا لها، وخمسة تشطيرات، وخمس معارضات.[18]

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

الافتتاح:

اقتحم البوصيري موضوعه اقتحاما شديدا لم يتسم ببراعة الاستهلال، وذلك بالحديث عن الإسراء والمعراج مباشرة بدون اللجوء إلى الغزل أو البكاء على الأطلال خلافا لما قام به في افتتاح قصيدته البردة، حيث يقول:

*أمن تذكر جيران بذي سلم ** مزجت دمعا جرى من مقلة بدم*

*أم هبت الريح من تلقاء كاظمه ** وأومض البرق في الظلماء من إضم*[19]

ولعل هذا يعود إلى ما بين القصيدتين من اختلاف في الجوّ النفسي، إذ إنه في الأولى يحاول جاهدا في التهاب حماسة الشباب في حرب الصليبيين عن طريق إظهار شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وفضله على سائر الأنبياء والمرسلين، ردا على النصارى واليهود الذين اتخذوا طعنه وسيلة من وسائل الانتقام بالإسلام والمسلمين. فطغت عليه هذه العاطفة الدينية القوية في احترام شخصية المصطفي صلى الله عليه وسلم والإعجاب بها، فقال:

كيف ترقى رقيك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

لم يساووك في علاك وقد حا ل سنى منك دونهم وسناء

إنما مثلوا صفاتك للنا س كما مثل النجوم الماء

أنت مصباح كل فضل فما تصـ ـدر إلا عن ضوئك الأضواء

لك ذات العلوم من عالم الغيـ ـب ومنها لآدم الأسماء

لم تزل في ضمائر الكون تختا رلك الأمهات والآباء

ما مضت فترة من الرسل إلا بشرت قومها بك الأنبياء

تتباهى لك العصور وتسمو بك علياء بعدها علياء[20]

أما الثانية فإنها تعبير عن عاطفة الحب النبوي التي تسيطرت عليه وبلغت رتبة تستحق أن يتوسل بها استشفاء لما أصابه من المرض.

صلب الموضوع:

واستمر يشرح مميزات الرسول صلى الله عليه وسلم في حوار لطيف يوحي بما في روعه من لوعة المحبة، وصدق العاطفة، فنوره أول منزلة فاق بها الأنبياء، هو نور كل نور، وجميع الأنوار منه تقتبس، ومن تلك المميزات طهارة أرومته.

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

واستمر في سرد قصة ميلاده ورضاعه، وما ظهر فيها من عجائب المعجزات متمنيا رؤيته أو تقبيل راحته الكريمة، أو تراب من قدمه، ومتعجبا من الكفار الذين شاهدوه ومع ذلك لم يزدادوا إلا ضلالا. استمع اليه قائلا.

عجبا للكفار زادوا ضلالا بالذى فيه للعقول اهتداء
والذى يسألون منه كتابا منزل قد أتاهم وارتقاء
أو لم يكفهم من الله ذكر فيه للناس رحمة وشفاء[21]

ثم انتقل إلى وصف القرآن الكريم والاحتجاج على اليهود والنصارى، وإظهار بطلان عقائدهم، وإلى وصف مسيره من مصر إلى مكة المشرفة لأداء فريضة الحج، ثم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة. ثم انتقل إلى مدحه والثناء عليه والتماس شفاعته.

الاختتام:

واختتم القصيدة بما افتتح به من مخاطبة الممدوح ايحاء إلى منزلته في القلب وقوة تعلقة به حتى كأنه يراه، فاتخذ الصلاة عليه قربانا تقربه إليه، فقال:

وصلاة كالمسك تحمله منـــا شَمال إليك أو نكباء
وسلام على ضريحك تخضـل ل به منه تربة وعســـــاء
وثناء قدمت بين يدي نجـ ـواي إذ لم يكن لدي ثراء
ما أقام الصلاة من عـبداللـــه وقامت برها الأشيـاء[22]

المحور الثاني: لمحة عن الكناية: أقسامها وبلاغتها.

أ- المفهوم اللغوي لكلمة الكناية.

الكناية مأخوذة من قولهم كنى بكذا عن كذا، يكنى عنه كناية، على وزن فعل يفعل كرمى يرمى، أى تكلم بما يستدل به عليه ولم يصرح، فهو كانٍ. وكنى الرجل بأبى فلان كنية: سماه به. وأَكْنَاه وكَنَّاه بكذا واكتَنى وتكنَّى فلان: ذكر كنيته عند الحرب ليعرف، وهو شعار المبارزين، وكنَّى تستر وكنَّى بكذا تسمى به.[23]

وورد كنا يكنو بكذا عن كذا من باب دَعَا يَدْعُو، وَأنشد الجوهرى:

وإنى لأكنو عن قذور بغيرها # وأعرب أحيانا بها وأصارح

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

وقد أورد ابن منظور من الشواهد ما يدعم أن فعل "كنى" يرد واويًا أو يائيًا عند ما قال: "...والكناية أن تتكلم يشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره، يكنى كناية يعنى إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط ونحوهما، وكنوت بكذا عن كذا. وأنشد:

وإني لأكنو عن قذور بغيرها # وأعرب أحيانا بها فأصارح[24]

ولم يرد المصدر "كناوة لذلك ذهب اللغويون إلى أن التزام "الياء" في المصدر دليل على أن لام الفعل ياء وأن الواو في كنوت قلبت عن الياء سماعًا.[25]

ويبدو مما تقدم أن الكناية في العرف اللغوى ضد التصريح، وتعنى ستر الشيء وإخفائه وراء حجاب ما، غير أن هذا الستر والإخفاء يكون نسبيًا؛ إذ أن كل مادة لغوية اشتملت على الكاف والنون والياء فإنها تدل على الستر والخفاء وعدم الظهور.

ب- مفهوم الكناية الاصطلاحى:

عرف البلاغيون الكناية بتعريفات مختلفة، وكل هذه التعريفات رغم ما بينها من اختلاف في الصياغة إلا أنها تكاد تدور حول محور واحد، وهو إخفاء المعنى المراد وتستره وراء كلمة أو كلمات تلازمها.

وممن أسهم في هذا المجال قدامة بن جعفر المتوفي سنة 337هـ الذي سماها "الإرداف" وقد عرفها بقوله: "أن يريد الشاعر الدلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى؛ بل بلفظ يدل على معنًى هو ردفه وتابع له، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع.[26]

وعرفها عبد القاهر الجرجاني المتوفي 471هـ – بقوله: "والمراد بالكناية ها هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومىء به إليه، وبجعله دليلًا عليه، كقولهم: هو طويل النجاد، يريدون طويل القامة، وكثير الرماد يعنون كثير القرى"[27]، فطول النجاد يلازم منه طول القامة، وكثرة رماد القدر يلازم منه كثرة القرى.

يبدو في هذه العبارة أن عبد القاهر يزيد إيضاحًا على ما قاله قدامة بن جعفر في مفهوم الكناية؛ فإنه يجعلها عامة في الشعر والنثر، غير أنه يتفق معه في قضية الانتقال في الكناية، هل هو من اللازم إلى الملزوم أم من الملزوم إلى اللازم. فذهب في ذلك مذهب قدامة، في أن الإنتقال فيها من اللازم إلى الملزوم.

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

ومن الذين عرفوا الكناية حديثا عبد الرحمن حسن حبنَّك الميدانى، فقال: "إن الكناية هى اللفظ المستعمل فيها وضع له في اصطلاح التخاطب للدلالة به على معنى آخر لازم له، أو مصاحب له أو يشار به عادة إليه، لما بينهما من الملابسة بوجه من الوجوه."[28]

يرى الميداني الكناية مصطلحًا لغويًا يستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب، فهي إذًا من المصطلحات اللغوية التي يتحدث عنها علماء اللغة حديثًا.

وكل هذه التعريفات رغم ما بينها من اختلاف في الصياغة، إلا أنها تكاد تدور حول محور دلالي واحد، وهو إخفاء المعنى المراد وستره وراء كلمة أو كلمات تلازمه.

المحور الثالث: دور الكناية في تجسيم المعنى وتفخيمها:

إن المعاني المجردة ركن لا يستغني عنه الأديب في سبيل محاولته فى نقل مدر كاته ومشاعره، التي تجول في وجدانه، وقد لا يساوى الناس في إدارك هذه المعاني المجردة المعنوية، بل يتفاوت الناس فيها كل حسب ما وهبه الله له من قوة والإدراك والمشاعر والحس. والشاعر أو الأديب أقدر في إدراك هذه المعاني من غيره لما يمتاز به من حس مرهف وقوة إدراك لذلك أحيانًا يلتجئ إلى بعض التعابير البلاغية، ليتمكن بها إلى إيصال تلك المعاني إلى المخاطب كما يشعر بها هو فى ذهنه.

والكنابة أبلغ في هذا الميدان من غيرها إذا وضعت في المقام الذي تليق به، لذلك يستعمل البوصيري بعض الصور الكنائية في همزيتة لهذا الغرض، إذا دعت الحاجة.

ومن ذلك ما جاء فيها من الأسلوب الكنائي للتعبير عن قربه صلى الله عليه وسلم من جبريل عليه السلام، وهو من المعانى المجردة التي لا يدرك مخاطب مداها ودرجتها، لكنه لما جسمها وعبرعها بالأسلوب الكنائي ظهر الأمر وقرب إلى المخاطب وذلك في قوله:

وترقى إلى قاب قوسين وتلك السيادة القعصاء[29]

يرسم بذلك صورة حسية أمام المخاطب يظهر فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه حبيبة جبريل، وكأنهما قاب قوسين، يلصق كل منهما بجنب صاحبه، لا يتوسطهما شئ، فلو أنه صرح بلفظ القرب لما وصل المخاطب إلى إدراك هذا المعنى الدقيق.

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

فبناء على هذا التعبير يقرر بأن الكناية تساعد في تحديد مسافة ما لا حد له، كما حددت مسافة هذه المقاربة التي بين هذين الرفيقين الجليلين، لأنه لولا دخول الكناية، لتفاوت إدراك المخاطبين في فهم مدى هذه المسافة، وقرب كل واحد منهما إلى صاحبه. كما جسم معنى اليأس بسقوط الأماني وتحسرها فى قوله:

وقد تسفط الأماني حسرى دونها ما ورائهن وراء[30]

رسم البوصيرى صورة لليأس فى قوله: "تسقط الأمانى حسرى"، ليجسد بها هذا المعنى المجرد المعنوي، ولو لا هذا الأسلوب الكنائي لما وصل المخاطب إلى إراك مدى هذا اليأس، فهو يأس لا مطمع فيه، لأن تلك الأماني بعد كونها ساقطة دون هذه الرتب، كانت حسرى لا تطمع العودة إلى تلك المحاولة مرة ثانية.

كما عبر عن أم جميل تعبيرًا كنائًا، صورها فيه تصويرًا أدبيا، ليصل به إلى كشف ما فيها من الأخلاق الذميمة، وهي لنميمة وبث الشر، وذلك فى قوله:

وأعدت حمالة الحطب الفهـــ # ـــر وجاءت كأنها ورقاء[31]

شخص الشاعر هذا المعنى المجرد المعنوي فى قوله: حمالة الحطب"، لأن الممخاطب يتخيل أن هذه المرأة تحمل فوق رأسها حطبًا تطوف به بين الناس، لتأجج بينهم نيران العداوة والبغضاء وتحملهم على مقاطعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك تعبيره عن صبره صلى الله عليه وسلم وعفوه عن الجاني بصورة حسية تجسد هذا المعنى وتبرزها للسامع كأنه يراها، وذلك في قوله:

جهلت قومه عليه فأغضى # وأخو الحكم دأبه الإغضاء[32]

رسم الشاعر بقوله: "فأغضى" صورة لإنسان حليم يغض طرفه كيلا يرى ما يقوم به الجائي من الأعمال والأقوال السيئة، وذلك لأن الحليم لفرط صبره كأنه لايرى ما يقوم به المسئ. لذلك عبر عن هذا المعنى بقوله: "فأغض"، لبزيدها بالتجسيد قوةً إثباتًا.

ولما أراد الإمام البوصيري أن يصف الرسول بالشجاعة لم يذكر الصفة بصريح اللفظ، بل جسدها وفخمها، عن طريق التعبير الكنائي فى قوله:

مسفر يلقى الكتيبة بسامًا # إذا أسهم الوجوه اللقاء[33]

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

فقوله: "مسفر يلتقى الكتيبة بسامًا" كناية عن الشجاعة وهي من المعاني المجردة والمعنوية، لذلك جسدها الشاعر لتكون صورة تطهر ملامحها على وجه المصطفى الكريم، وهو باسم مظهر بذلك ما في نفسه من السكينة والطمانينة وهما في موقف الحرف من صفات الشجعان. صور المشركين كنائيا يوحى إلى ما هم فيه من الذل والهوان أمام جيش وتحت سلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في قوله:

وكساهم ثوب الصغار وطلت # دما منهم وصينت دماء[34]

استطاع أن يبرز بهذا الأسلوب الحالة التي أصبح فيها هؤلاء القوم حتى يكاد يراها المخاطب بعينيه وهى تلك الملامح التي تظهر في ارتداء تلك الملابس التي يلبسها العبيد إشعارًا بما فيه من الذلّ والهوان.

ومن الكنايات القيمة في هذه القصيدة ما ورد من تجسيد صفة الخوف والقلق اللذين انتابا المسلمين يوم الأحزاب، وهما صفتان مجردتان جسمهما الشاعر في قوله:

وبيوم الأحزاب إذ زاغت الأبـ # ـصار وضلت الآراء[35]

فزيغ الأبضار وعدم الآراء ملامح تصور مدى ما وصلت إليه نفوس المسلمين ذلك الموقف المفزع، ودخول الكناية في مثل الموقف أمر ملائم بالمقام، لأنه أدى دورا في بيان مدى شدة هذا الخوف بصورة حسية تظهر ملامها في الوجوه، لتخبر عما في النفوس، لأن الوجوه رسل للنفوس، لا يوحون إلا بما أوحت إليهم به. أو جاءتهم به رسلها. فالتعبير بكلمة "زاغت" يوحي إليّ بما أوحت إليهم به. أو جاءتهم به رسلها. فالتعبير بكلمة "زاغت" يوحي إلى ما تتصف به تلك الوجوه من عدم الاستقرار والطمانينة، لشدة ما حل بها من الفزع والخوف الشديدين.

ومنها ما ذكره للتعبير عن قوة جيش المسلمين وكثره عناصره يوم فتح مكة، وذلك قوله:

أثارت بأرض مكة نقعها # طن أن الغدو منها العشاء[36]

فقوله: "أثارت بأرض مكة نقعًا" إشارة توحي إلى ما في هذا الجيش من العَدَد والعُدَد، لأن كثرة معنى يدرك من رؤية هذا الغبار، وبالتالي يدرك ما يتصف الجيش من القوة. وقوله: "ظن أن الغدو منها العشاء" تأكيد للكناية الأولى، لأن الغبار الذي كان كثيفًا، وكثافته ناشئة من كثره ما تحته من الجيوش الجرارة. فجسم كل هذه المعاني في أسلوب كنائي لطيف، ليزيدها وضوحًا وثبوتًا.

ومن ذلك تعبيره عن حالة المشركين في الاقتداء بالآباء والأخذ بتقاليد الأجداد، وقولهم: إنا وجدنا آناءنا كذلك يفعلون، وذلك في قوله: بل تمادت على التجاهل آبا ئتقفت آثاؤها الأبناء[37]

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

فاقتفاء الآثار من المعاني المحسوسة التى يدركها السامع بكل سهولة، فاستعملها البوصيري، ليعبر بها عن اقتداء هؤلاء القوم بالآباء. وفقوله: "تقفت آثارها الأبناء" طنتية جسدبها الشاعر حالة هؤلاء القوم في صورة أناس يقنفون أثر غيرهم ليصلوا إلى حيث وصلوا. وفي استعمل لفظ الاقتفاء ما يوحي إلى ما يتصف به هؤلاء القوم من الحيرة، وعدم اليقين في ما هم عليه.

ومن أمثالة ذلك ما ذكره في وصف ما هو فيه من دعوته الشباب وضلالتها، الأمر الذي لم ينتبه إليه إلا بعد فوات الأوان، وذلك في قوله: كنت في نومة الشباب فيما استيـــ ـــقظت إلا ولمتى شمطاء[38]

كنى عن غفلة الشباب ورعونتها بنومة الشباب، وعن كبر سنة بقوله: إلا ولمتي شمطاء". وذلك ليجسد هذين المعنيين، لما بين النائم والنشاب من تشابه في الغفلة وعدم التبصر في العواقت وغير ذلك. كما عبر عن الشيخوخة وكبر السن باختلاط بياض شعر الرأس بسواده، وذلك لأنه دليل شاهد ورسول صادق يتلو آيات تحذر الإنسان بقدوم الوعد الحق، وفناء الأمد البعيد. وما عليه إلا التجهيز للرحيل.

المحور الرابع: ذكر القضية مصحوبة بالدليل:

ومما يدل على جمال الكناية وبلاغتها أنها تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها والقضية وفي طيها برهانها، والبوصيري يجاري الأدباء في هذا الميدان، إذ إنه أورد في همزيته أمثالة هذا الأسلوب البلاغي، ومنها ما يلى:

إشارته إلى حقيقة من الحقائق المحمدية، وهي ميزة تتجلى فى طهارة أصلاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وزكات أرحامه. وذلك بالإشارة إلى ما يبرهن به إلى هذه المزية ويكون دليلًا عليها، وذلك في قوله:

لم تزل فى ضمائر الكون تختا # رلك الأمهات ولاآباء[39]

فالتعبير بقوله: "تختار لك الأمهات والآباء" كناية عن طهارة أصلابه وزكات أرحامه صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن خيار الأمهات والآباء دليل على نقاء الأرومة وصفاء الجرثومة. فالتعبير بكلمة: "تختار" بوحي إلى ما تتميز به تلك الأصلاب والأرحام من العفة والطهارة، الأمر الذى أهلها لتلك المزية.

ومنها تعبيره عن كثرة ما يعلو المدينة من نور الهيبة وما يتلألأ فيها من ضياء البهجة، في قوله:

فرأينا أرض الحبيب يغض الـ # ـطرف منها الضياء واللألاء[40]

فقوله: "يغض الطرف منها الضياء واللألاء" كناية عن كثرة هذا الضوء وقوته وبلاغة هذه الكناية، أنها زادت هذا المعنى قوة وثبوتًا بذكر ما يكون دليلاً على قوة هذا الضوء وهو غض الطرف حوفًا من ذهاب البصر. فالمكني عنه

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

في هذه الكناية هو: كثرة الضوء وقوته. فعجل عنه إلى ذكر ما يدل به إليه، وهو غض الطرف من أجله.

ومن ذلك ما يشير إليه البوصيرى من وقوعه هو ومن معه من الحجاج في واد من الحيرة والدهشة، لما بهرهم من هيبة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله:

ورجعنا وللقلوب التفاتا # ت إليه وللجسوم انثناء[41]

فالتفات قلوبهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وانعطاف جسومهم ميلًا إلى البقاء في تلك الحضرة الشريفة على الدوام، دليل على مدى ما في القلوب من المهابة والمحبة والإجلال، لأن الجبيب لايكاد يفارق حبيبه، فجاء بالكناية، ليضيف المعنى قوة بذكر شيء يدل عليه وهو التفات وانثناء الجسوم نحو المحبوب.

مما عبر عن شجاعة الصحابة رضوان الله عليهم في أسلوب كنائي أكد به ما وصلوا إليه في هذا الجانب، محتجًا بما فاموا به من إذلال الطغاة والجبابرة، وذلك في قوله:

أرخصوا في الوغى نفوس ملوك # حار وها أسلابها إغلاء[42]

فقتالهم هؤلاء الملوك وانتصارهم عليهم وإذلالهم تحت راية الإسلام كرهًا، دليل على شجاعتهم وشدة بأسهم. كما أن ملابس هؤلاء الملوك وأسلحتهم العالية، ديل على رفعة شأنهم وقوة عنصرهم. فأقام من ذلك صرحًا ممردًا من الكناية، يظهر تحته معنى مجردٌ هو صفة الشجاعة التي يتحلى بها الصحابة رضوان الله عليهم.

ومن ذلك إشارته إلى ما اتصف به عمر بن الخطاب رضى الله عنه من صدق المحبة في الله، التي تظهر ملامحها في عدم اختيار الأقارب لقرابتهم، بل كل واحد تقربه إليه طاعته الله وصدقه في دين الله، وذلك في قوله:

والذي تقرب الأباعد في الله إليه وتبعد القرباء

عمر بن الخطاب من قوله الفصـــ # ـل ومن حكمه السوئ السواء[43]

وفي اختيار الأباعد على الأقارب في الله والله دليل على صدق محبته في الله، لأنه لو لم يكن يحب ويبغض الله لا للقرابة ولا للجاه، لما وصل إلى هذه المرتبة العظيمة. فكنى عن صدق هذه المحبة بذكر صفة تقوي هذا المعنى وتكون دليلًا عليه. ومن ذلك كنايته عن كرم عبد الرحمن بن عوف وحوده في قوله:

وبن عوف من هونت نفسه الدنـــ # ـيا يبذل بمده إثراء[44]

فقوله: هونت نفسه الدنيا" كناية عن كرمه وجوده، أي صيرها رخيصة بدليل بذله إياها فى رجوه الخير، وهذا دليل على كرمه وجوده، لأن الكريم لا يقيم للمال في الإنفاق وزنًا. فذكر الشاعر هذه الصفة، لتكون كناية يدل بها

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

على صفة أخرى هي الجود والكرم. والتعبير بكلمة "يمد" في قوله: "يمده إثراء" يوحي إلى ما في المال من السعة والكثرة وبالتالي إلى عدم انقطاع العطاء. رحم الله عبد الرحمن بن عوف.

ومن أمتلة ذلك ما ذكره البوصيري من غفلته وانهماكه في الملذات أيام صباه، ولم ينتبه إلا بعد أن يبس العود وذوى، فانبرى صائحًا يقول: كنت فى نومة الشباب فما ستيـ # ـقظت إلا ولمتى شمطاء[45]

فنومة الشباب كناية عن الغفلة، لأن أيام الثبا معروفة بغفلتها. وكذلك قوله: "لمتى شطاء" كناية عن الكبر وتقادم العمر، وذلك لأن اختلاط سواد شعر الرأس بالبياض كما هو المعهود–دليل على كبر السن، لذلك عدل الشاعر عن ذكر المكنى عنه، وهو الشيخوخة إلى شيء يوصل المخاطب إلى إدراك هذا المعنى مقرونًا بالدليل، وهذا واد خصب تظهر فيه بلاغة الكناية وجمالها.

الخاتمة:

استطاع الباحث في هذه الجولة الوجيزة أن يقدم للقارىء قبسًا مما في همزية الإمام البوصيري أسرار الكناية، وما فيها من تجسيم المعاني المجردة وتفخيمها، ودورها الجدلي في ذكر القضية مصحوبة بدليلها، وأتى الباحث لكل ذلك بنماذج من القصيدة وحللها تحليلًا بلاغيًا، استخلص من خلاله إلى النتائج الآتية:

- قامت الكناية في القصيدة بدور في تجسيم ما في نفس البوصيري من المعاني الصوفية التي قد لا تدرك إلا عن طريق هذا التعبير اللطيف.
- ساعدت الكناية في الإجابة عن بعض التساؤلات والشكوك التي قد تثيرها بعض تعبيراته الدقيقة.
- استخدم البوصيري الكناية واستوظف ما فيها من الطاقات الجدلية في الرد على خصومه بأسلوب لطيف.

الهوامش:

1– مقدمة ديون البوصيري تحقيق محمد سيد كيلاني، ط/1 ص/5.

2– محمد سيد كيلاني، المصدر السابق والصفحة.

3– البوصيري، محمد بن سعيد. ديوان البوصيري. دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط/1، ص/154–155.

4– هى بوصير فوردس من قرى بنى يوسف.

5– قرية من قرى مديرية بنى يوسف أيضًا.

6– ذهب إليه ابن تغرى بردى، ورجحه الدكتور شوقي كتابه تاريخ الأدب العربى عصر الدول والعمارت –

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

مصر- ط/4، ص/362.

7- محمد سيد كيلانى، مقدمة ديوان البوصيري، ط/1، ص/11.

8- د. شوقى صيف، تأريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، مصر، ط/4، ص/362.

9- البوصيري، محمد بن سعيد، المرجع السابق، ص/54.

10- محمد سيد كيلاني، المصجر نفسه، ص/14.

11- البوصيري، محمد بن سعيد، المرجع السابق، ص/243.

12- محمد سيد كيلاني، المصجر نفسه، ص/15.

13- البوصيري، محمد بن سعيد، المرجع السابق، ص/10-141.

14- عبد العال الحمامصى، البوصيري المادح الأعظم للرسول، ص/38.

15- المرجع نفسه والصفحة.

16- شوقى ضيف: فصول في الشعر ونقده. ص/240.

17- http//www.dr.mahmoud.com/content/view/1220/4

18- http//cb.rayaheen.net/showthread.php?tid=27154

19- البوصيري، محمد بن سعيد، المرجع السابق، ص/227.

20- المرجع السابق، ص/11.

21- المرجع السابق، ص/24.

22- المرجع السابق، ص/42.

23- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. المعجم الوسيط. ط/4، ص602.

24- ابن منظور، لسان العرب ج/15، ص/1956م.

25- النفتزانى، سعد الدين، شروح التلخيص. مط/غيسى البابى الحلبى-مصر-ط/1، ج/4، ص/237.

26- د/محمود السيد شيحون. الأسلوب الكنائي، ط/2، ص/11.

27- الجرجانى، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ط/ص/66.

28- عبد الرحمن حسن حبنك الميداني، البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، ط/2، ص:135.

29- البوصيري، محمد بن سعيد، المرجع السابق، ص16.

©Ibn Masani Journal of Arabic Studies (2025)

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

30- المرجع السابق والصفحة نفسها.
31- المرجع السابق، ص 19.
32- المرجع السابق، ص20 .
33- المرجع السابق، ص21.
34- المرجع السابق، ص26.
35- المرجع السابق، ص29.
36- المرجع السابق والصفحة.
37- المرجع السابق ص29.
38- المرجع السابق، ص39.
39- المرجع السابق، ص11.
40- المرجع السابق، ص32.
41- المرجع السابق، ص33.
42- المرجع السابق، ص35.
43- المرجع السابق، ص36.
44- المرجع السابق، ص37.
45- المرجع السابق، ص39.

المصادر والمراجع:

ابن الأثير، ضياء الدين. المثل الساء في أدب الكتاب والشاعر. مكتبة نهضة مصر بالفجالة، الطبعة الأولى 1381هـ – 1962م. مكتبة دار الأمة، الطبعة الأولى. 1429هـ – 2008م.

بكرى، شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد. دار العلم للملابين، الطبعة الثامنة، 2003م.

التجاني، ابن الدين أحمد. الإرشادات الربانية بالفتوحات الإلهية على متن الهمزية. مكتبة الشعبية بيروت لبنان (بدون تاريخ)

الجاحظ، عثمان بن عمرو. البيان والتبين. دار الفكر الطبعة الأولى، 1967م.

الجرجانى، عبد الفاهر. دلائل الإعجاز. دار المدنى، الطبعة الثالثة، 1992م – 1413هـ.

©Ibn Masani Journal of Arabic Studies (2025)

IBN MASANI
JOURNAL OF ARABIC STUDIES
A Publication of the Department of Arabic Faculty of Humanities Umaru Musa Yar'adua University, KatsinaP.M.B 2218, Katsina- Nigeria
ISSN: 2672-5053 (Print)
The journal's home page: ibnmasani.arabic@umyu.edu.ng

Vol. 4 No. 1, February, 2025

.... أسرار البلاغة في علم البيان. مكتبة المعارف الرياض، 1401هـ-1981م.

الزركلى، خير الدين. الأعلام. الجزء السابع. الطبعة الثالثة، (بدون تاريخ).

شيحون، محمد السيد. الأسلوب الكنائي. الطبعة الثانية، دار الهداية، 1994م – 1415هـ.

.....فصول في الشعر ونقده دار المعارف، الطبعة الثالثة، (بدون تاريخ).

..... عصر الدول والإمارات (مصر). دار المعارف، ط/4، (بدون تاريخ).

العباسى، عبد الرحيم بن أحمد. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. ج/4، مطبعة السعادة، 1948م – 1367هـ.

عبد العزيز عتيق. علم البيان. -القاهرة- دار الآفاق العربية، ط/1، 1427هـ-2003،

العلوى، يحيى بن حمزة. الطراز دار الكتب العلمية بيروت، ط/1، 1995-1415هـ.

إبن فارس، أحمد أبو الحسين. الصاحبي في فقه اللغة. مؤسسة المختار، الطبعة الاولى، 1425هـ-2005م.

القزوينى محمد عبد الرحمن. الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي، ج/1، مكتبة الحسين التجارية، الطبعة الأولى 1949م.

القطان، محمود شاكر. الكناية. طابع الأمرام التجارية 1993م.

مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية. معجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، 1426هـ – 2005م.

المراغى، أحمد مصطفي. علوم البلاغة مكتبة المحمودية التجارية ط/5، (بدون تاريخ)

المطعنى، عبد العظيم إبراهيم. من قضايا البلاغة والنقد. مكتبة الوعبية، الطبعة الأولى، 2002م.

الميدانى، عبد الرحمن حسن جبنك. البلاغة العربية، أسسها، وعلومها، وفنونها. -دمشق وار القلم، ط/1، 1428هـ – 2007م.

الهاشمي، أحمد بن إبرهيم. جواهر البلاغة. الطبعة الثانية، مؤسسة المختار، 1427هـ – 2002م.

وجدي، محمد فريد. دائرة معارف القرن العشرين. دار المعرف بيروت – لبنان، ط/2، 1971م.

http//www.dr.mahmoud.com/content/view/1220/40
http//cb.rataheen.net/showthread.php?tid=27154